

١٣٢٧

بيروت غرة ربيع الآخر سنة ١٣٢٧ = الموافق ٢١ نيسان سنة ١٩٠٩

تنبيه النيام

هي احدى قصائد الشاعر الكبير بلبل بغداد «معروف افندي الرصافي» التي نظمها في الدور الماضي

اما آن ان يغشى البلادَ سعودها ويذهب عن هذي النيام هجودُها
متى يتأتّى في القلوب انتباهها فينجابَ عنها رينها وجمودُها[1]
اما اسد يحمي البلادَ غضنفرٌ فقد عاث فيها بالمظالم سِيدُها[2]
برئتُ الى الاحرار من شر امّة اسيرةِ حكام ثقال قيودها
سقى الله ارضاً أمحلت من امانها وقد كان رُوّاد الامان ترودها[3]
جرى الجور منها في بلاد وسيعةٍ فضاقت على الاحرار ذرعاً حدودها

* * *

عجبتُ لقوم يخضعون لدولةٍ يسوسهمُ بالموبقات عميدها
واعجب من ذا أنهم يرهبونها واموالها منهم ومنهم جنودها

(١) الرين هو ما غطى على القلب بحيث يحجبه عن رؤية الحقيقة (٢) عاث فيها : افسدها . السيد : الذئب (٣) الرواد : جمع رائد وهو الرسول الذي يرسله القوم لينظر لهم مكانا ينزلون فيه ، يقال منه راد المكان يروده وارتاده يرتاده بمعنى طلبه

اذا رأيتَ امرَ العباد طغاتُهـا — وساد على القوم السراة مَسودُها
واصبح حرُّ النفس في كل وجهةٍ — يُردّ مهاناً عن سبيلٍ يريدها
وصارت لئامُ الناس تعلو كرامها — وعاب لبيداً في النشيد بليدُها (١)
فمـا انت الا ايها الموت نعمةٌ — يعزّ على اهل الحفاظ جحودها (٢)

* * *

الا انما حرية العيش غادة — مُنى كل نفس وصلهـا ووفودها
يُضيء دجناتِ الحياة جبينها — وتبدو المعالي حيث أُتلع جيدها (٣)
لقد واصلت قوماً وخلّت وراءها — اناساً تمنّى الموت لولا وعودها
وقد مرضت ارواحنا في انتظارها — فما ضرّها والهفتا لو تعودها (٤)

* * *

بني وطني مالي اراكم صبرتمُ — على نُوَبٍ أعيا الحُصاةَ عديدُها
أما آدكم حملُ الهوان فانه — اذا حُمّلته الراسياتُ يؤودها (٥)
قعدتم عن السعي المؤدي الى العلى — على حين يُزري بالرجال قعودها
ولم تأخذوا للأمر يوماً عتـاده — فجاءت امور ساء فيكم عتيدها (٦)
ألم تروا الاقوام بالسعي خلّدت — مآثر يستقصي الزمانَ خلودها

(١) لبيد علم الشاعر المشهور (٢) اهل الحفاظ : المحامون عن عوراتهم والمدافعون دون ان يصل اليهم الضيم (٣) اتلع عنقه : مده متطاولاً (٤) تعودها: تزورها ، من عيادة المريض (٥) آدكم : اثقلكم ، يؤودها يثقلها (٦) العتاد : العدة لامرٍ ما تهيؤه وما أُعدّ من سلاح ودوابّ وآلة حرب ، العتيد : الحاضر المهيأ ، يقول : لم تستعدوا للرقي فيما مضى فجاءكم يوم ساءكم فيه حاضركم ، ويعني بالحاضر ما كانت تقاسيه الامة من جور الحكام واستبداد الطغام ، وهو يصلح لحالتنا الحاضرة ايضاً ويكون حاضرنا السابق ماضياً وحريتنا الآن حاضراً الا فانها جاءتنا على غير استعداد منا لها بما افسده الظالمون من نفوسنا فاسأنا استعمالها ولم نحسن فهمها بسبب ما يوحيه المتقهقرون الى زعانف القوم ومايثيرونه في نفوسهم من الشرور تارة باسم الدين وآونة باسم الوطنية ، اصلح الله الاحوال ، وجعل كيد الرجعيين في ضلال

وساروا كراماً رافلين الى العلى باثواب عزّ ليس يبلى جديدهـا

* * *

قـد استحوذتْ بالخسار عليكمُ شياطين انس صال فيكم مَريدها[١]
وما أُنقذت نار الحمية منكمُ لفقد اتحادٍ فاستطال خمودها
ولولا اتحاد العنصرين لما غدا من النار يذكو لو علمتم وَقودها
اذا جاهل منكم مشى نحو سُبّة مشى كلكم من غير قصد يريدها[٢]
كأنكم المعزى تهاوينَ عند ما نزا فنزتْ فوق الجبال عتودها[٣]
وما ثَلّة قد اهملتها رُعاتها بمأسدةٍ جاءت لعشرٍ اسودها[٤]
فباتتْ ولا راعٍ يحامي مراحهـا فرائسَ بين الضاريات تُبيدها
باضيع منكم حيث لاذوا شهامةٍ يذبّ الرزايا عنكم ويذودها[٥]

* * *

أتطمع هذي الناس ان تبلغ المنى ولم تُورَ في يوم الصدام زنودها[٦]
فهل لمعتْ في الجوّ شعلة بارق وما ارتجست بين الغيوم رعودها[٧]
وادخنة النيران لولا اشتعالهـا لما تمّ في هذا الفضاء صعودها
وانّ مياه الارض تعذب ماجرت ويفسدها فوق الصعيد ركودها
ومن رام في سوق المعالي تجارة فليس سوى بيض المساعي نقودها

(١) المريد: الخبيث المتمرد الشرير (٢) السبة: العار (٣) نزا وثب. العتود: الجدي الذي استكرش او هو مارعى وقوي واتى عليه حول ، يريد بذلك انه اذا قام قائم منا بامر تتابعه عليه من غير ان نعلم ماهو ولا ان ندري ان كانت عاقبته شراً او خيراً (٤) الثلة بفتح الثاء الجماعة الكثيرة من الغنم ، واما الثُلة بضم الثاء فهي الجماعة من الناس ، المأسدة: المكان الذي تكثر او تربى فيه الاسود (٥) يذب: يدفع ومثله يذود (٦) اورى الزند: اخرج ناره ، والزند: العود الاعلى الذي يقتدح به النار والاسفل يقال له زندة (٧) ارتجست السماء: رعدت وارتجس البناء: رجف وتحرك حركة سمع لها صوت

الاصلاح والجمعيات

اختلف الباحثون في احوال النوع الانساني من حيث جبلّته على ثلاثة اقسام : قسم يعتقد ان الانسان مفطور على الشر وارادة السوء ، وانه لا يكتسب الخير ولا يعتاده الا بعد عناء طويل يُصرف في تهذيبه وتعويده الفضائل — وقسم يعتقد انه مفطور على الخير والفضيلة وانما يصرفه عنهما دواعي السوء واسباب الشر — وقسم يقول : انه خلق غير ميال الى الخير ولا الى الشر ، بل هو مستعد لهما معاً ، فان وجد له اسباب تدفعه الى الفضيلة وتصدف به عن الرذيلة فهو ذاك ، والعكس بالعكس

وعلى كل حال فهم وان اختلفوا في المبداء فهم متفقون على ان الانسان تؤثر فيه التربية والوعظ والارشاد لما فيه سعادتهُ في الدارين ، فان أُهمل وشأنه يصدأ فكره وتعلو بصيرته غشاوة ، وتغلب عليه الاخلاق السافلة ، وتأسره الرذائل ، وان هُذّب ورُبي التربية الحق ، وتعهّده الواعظون والمصلحون بالارشاد الى السبيل القويمة والطريق السوّى ، فذلك ينزع ما فيه من فساد ، ويربأ به ان يسير في غير منهج السداد

واني مع القوم القائلين بان المرء مفطور على الفضيلة ، وذلك ان النفس التي اودعها الله سبحانه في الانسان هي من جوهر صافٍ نقي ، لانه هبط الى هذا الهيكل الانساني من مكان مقدس رفيع ليس فيه سوء ولا رذيلة ، وانما يكتسبهما من المحيط الذي يوجد فيه ، كما انهُ يزداد لطافة وطهارة من محيطه ان كان اهله من الاصفياء الاطهار ، فالنفس كالبلور النقي الشفاف يبقى محفوظاً من الدنس والاوساخ ان مُنع عنه الغبار والطوارئ التي تزيل بهجته وصفاءه ، ويزداد صفاءً ورونقاً ان زيد على ذلك تعهّده بالصقل والتنظيف . ثم انهُ يعدم تلك البهجة والصفاء ان ترك عرضةً لكل طارئ

يطرأ عليه وربما تأتيه صدمة شديدة تحطمه تحطيماً

اذا ثبت هذا وأن جبلة الانسان على اختلاف الآراء فيها تفسد بالاهمال وفساد المحيط ، وتصلح وترتقي بالارشاد والوعظ والنصائح — فلابد ان يكون في كل امة قوم يقفون حياتهم و يبذلون جهدهم لاصلاح الفاسدين ، وزيادة خير الخيّرين ، واولئك القوم هم الرجال المصلحون الذين ما وجدوا في امة الا وكانوا سبب رفعها من وهاد التدلي الى اوج الترقي ، ووسيلة تقدمها الى الامام بعد تأخرها وانحطاطها

وبقدر عدد المصلحين في الامة يكون ترقيها وبلوغها مبلغ الحياة العالية والمدنية الراقية ، وبنسبة قلتهم يكون تأخرها وتقهقرها ، لذلك يجب السعي الحثيث وراء تخريج رجال عظماء يعرفون الداء وموضعه فيعملون على ملاشاته وتطهير جسم الامة والمجتمع منه .

المصلحون اقسام : قسم يبذل الجهد لتنقية الامة مما الّم بها من الامراض لالغاية يسعى وراءها ، ولا لمصلحة يتطلّبها ، واولئك هم الذين يُرجى منهم النفع الصحيح ، وعليهم تُعلّق الآمال بترقية الشعب والنهوض به من كبوته الى صهوة النجاح ، وهذا قسم قليل في كل امة ، وهو على قلته يفعل ما لا تفعله الكثرة التي مزجت غايتها بالاصلاح ، وبهذه القلة نالت الامم حريتها ووصلت الى ما ترجوه وتطلبه من المدنية والرقيّ ، وقد تفعل القلة ما لا تفعل الكثرة

وقسم يريد الخير ولكنه جاهل طريق الاصلاح وقد يكون ضرره اكثر من نفعه ، وهؤلاء كثيرون في الامة ، والاغرب من ذلك ان اكثرهم يدعي المعرفة والمقدرة على العمل ودماغه افرغ من فؤاد ام موسى ، غير انه يغش العامة بهذه الدعوى ويتسلط على عقولهم فينقادون اليه صاغرين فيسير بهم الى هوّة الجهل ويُركبهم متون الغباوة والرجوع الى الوراء

وقسم قادر على الاصلاح وعارف وجوه الخلل والاسباب المحطة بالامة

الى الدرك الاسفل ، غير انهُ لا يريد خيرها ولا كشف رين الجهالة عن قلوبها ولا ازالة برقع الاوهام عن بصائرها وابصارها ، وذلك لان في خيرها اضاعة مصلحة له على زعمه كضعف سلطته وذهاب أُبهّته وعظمته لان العلم والاستبداد لا يجتمعان ، فهو يسعى لابقاء الامة في محيط من الجهالة عنايم كيلا تتنبه اذا عرفت الواجب وما لها من الحقوق فيتساوى معها ، والظالم يبغض المساواة ، وذلك كان شأن رؤساءنا في الدور الماضي البائد الذي اداكنا الله منه ومن اهله

وهنالك قسم ليس في العير ولا النفير : فهو يعرف من اين تؤكل الكتف وكيف يكون الاصلاح فيحشر نفسه في زمرة المصلحين ويُظهر للناس انه من اكابرهم وخيارهم ، غير انه لا يقصد من وصف نفسهِ بذلك الا مأرباً يسعى وراءه وغاية يقصد اليها ، فهو يلبس رداء الاصلاح ونفسه عدوة له ، وقد يقصد الاصلاح والنفع الذاتي معاً ، لكن الاصلاح متى مزج بنفع الذات يكون ضئيلاً قليل الفائدة ، وكثيراً ما يتغلب طلب النفع للنفس على الاصلاح ، وربما كانت النتيجة شراً بحتاً

كثير من الناس عُرفوا في الدور الماضي بالجاسوسية والاستبداد واكل اموال الناس بالباطل ، والوشاية بهم ، وكثيراً ما كانوا سبباً في ازهاق نفوس بريئة واغراق رجال احرار يخدمون الوطن بجد واخلاص . فلما برق سيف الدستور اجفلوا منه اجفال الانعام وقد لاح لها ذئب خاطف او اسد جائع ، فاخذوا بالتقرب من جمعية الاتحاد والترقي التي قضت عليهم باعلانها الدستور بواسطة الجيش ، وقد دخل منهم طائفة كبيرة في سلك هذه الجمعية خصوصاً في ولاية بيروت ودمشق وحلب وغيرها من الولايات والملحقات حيث لم يكن الانتظام في سلكها في غير سلانيك واستانة ومناستر له نظام ولا اختبار لحقيقة الداخلين ، ولم يقصدوا بالدخول فيها نصر مبدإها الشريف لانهم يكرهونها ويكرهون مبدأها وهو الحرية والاخاء والمساواة ، ذلك لانها كانت سبب سقوط كثير منهم ومنع المنافع التي كانوا يتقاضونها من دماء الامة

وانما قصدهم من ذلك ان تكون لهم حمى يحميهم من وصول الاذى اليهم جزاء ما كانوا يصنعون في الايام الخالية ، وهكذا قد كان فاصبحت اعضاء الجمعية من الاشرار المتقهقرين المستبدين تعادل اعضاءها الاحرار ارباب الشهامة والعدل عدداً، ثم اخذ هؤلاء الزعانف يستبدون باسم جمعية الاتحاد والترقي ويتبجحون انهم من اعضائها فظن من لا روية له ولا نقد ان الجمعية تخوّلهم ان يفعلوا هذه الافعال

فلما رأت الجمعية ان جمهوراً من المتقهقرين انتظم في سلكها ضيقت امر الدخول فيها تضييقاً ، وقد رفضت كثيراً ممن طلبوا ذلك فهاجهم هذا الامر فألفوا جمعيات كثيرة تضاد الجمعية واخذوا يطعنون فيها ويهيجون الرأي العام ضدها ، ومن تلك الجمعيات جمعية الاحرار التي انشأت جمعيات كثيرة بايعاز منها باسماء مختلفة وهي في الحقيقة فروع لها تخدم مبدأها ، ومن هذه الفروع جمعية « الاتحاد المحمدي » التي ألّفت في العاصمة ونشأ لها فروع في بعض الولايات ، ومبدأ هذه الجمعية حميد مشكور غير انها تطلب من وراءه باطلاً وهو النفوذ وايقاع الدولة في ارتباك عظيم فمطلبها وقولها كما قال سيدنا علي رضي الله عنه: « كلمة حق يراد بها باطل »

مؤسسو مثل هذه الجمعية منهم من كان جاسوساً او مستبداً فسقط باعلاء راية الدستور فاخذ يسعى بما يؤيد مركزه او يرجع الحالة الأولى (على زعمه) وهؤلاء كثيرون ، ومنهم من لم يكن متخلقاً بهذه الاخلاق السافلة في ذلك الدور ، بل كان حراً يريد الاصلاح حقيقة وهم قليلون ، غير انهم اختصموا مع جمعية الاتحاد والترقي في بعض مطالب رأت الجمعية أن من الحكمة عدمها كاستقلال الولايات ، ومنهم من نُفوا من المملكة لاسباب ليس لها تعلق بطلب الدستور وحياة الامة مطلقاً فلما رجعوا من منفاهم بعد الدستور أدّعوا انهم كانوا من طلاّب الاصلاح ، وطلبوا الوظائف والمناصب فلم يجابوا ، فانضمت كل هذه الاحزاب تحت راية الحرية والفوا ذلك الحزب حزب الاحرار الذي يعمل على معاكسة الجمعية مخاصمة الوطن ، فهم كل يوم

يظهرون بمظهر جديد ويؤلفون جمعية جديدة ويدعون الناس الى الانخراط في سلكهم والضرب على وترهم

مثل هذه الجمعيات لا تطلب الاصلاح الحقيقي وانما تطلب النفع الذاتي تحت ستار الاصلاح وترقية الوطن ، ومن كان كذلك فمحال ان ترقى الامة والوطن بواسطته

* * *

كنا ننتظر بعد الدستور ان تؤلف جمعيات كثيرة غايتها خدمة الامة والوطن وأن تقصد كلها مقصداً واحداً يرمي الى اصلاح ما فسد من الاخلاق ، ورأب ما انصدع من الحاجيات الضرورية التي فقدتها الامة بما انتابها من الضغط ، وما اعتورها من عوامل التذليل والمراقبة — فاذا الامر بعكس ذلك التصور ، فقد أُلّفت جمعيات جمة ولكنها لم تؤسس الا لاغراض سافلة وشهوات استبدادية ، ولم تُبنَ الا على أُسس فاسدة واركان واهية ، فاوقعت الامة في فوضى تسوء مغبتها ولم تُحمد بدايتها ، ومع ذلك فهم يتظاهرون امام الشعب بانهم لا يريدون الا اصلاح الامة وترقية الوطن والله يشهد انهم يُظهرون خلاف ما يُضمرون ، وسيعلم الذين ظلموا اي مُنقلب ينقلبون

من هذه الجمعيات من قام باسم الوطنية ودعا الناس الى سياسة خرقاء كفرقة الاحرار ، ولم يكن لهم غرض من ذلك الا نيل الوظائف واحراز السلطة ، فعاكسوا جمعية الاتحاد والترقي لهذه الغاية غير ناظرين الى ما يحل بالامة من جراء هذا التفريق المؤدي بها الى الدمار ، وربما كانت غايتهم ذلك لان اكثر هذه الفرقة ممن كانت له اليد الطولى في الجاسوسية والاستبداد ونصرة الدولة الماضية ، وقد مدّ كامل باشا الصدر السابق ساعده لنصرة هذه الفرقة واخذ يعزل من الوظائف من كان منتسباً لجمعية الاتحاد والترقي ويولي مكانه المنسوبين الى فرقة الاحرار فكان ذلك سبباً لاسقاطه واذهاب مساعيه ومساعي هذه الفرقة ادراج الرياح

ومنها من قام باسم الدين فهيجوا الرأي العام والفوا جمعية لهذه الغاية وكان

الساعي بها فرقة الاحرار عند عدم نجاح مسعاهم ، فقامت هذه الجمعية تطالب باقامة احكام الشريعة ، وقد ذرت على العيون التراب ، فكأن الدولة العثمانية ليست باسلامية ولا هي مقيدة لاحكام الدين ، وكأن قانونها الاساسي لم يصرح في المادة الحادية عشرة منه بان الدين الرسمي للدولة هو دين الاسلام ! فماذا تطلب اذن هذه الجمعية ؟

— ان الناظر في قوانين الدولة العلية يجد انها مطبقة على احكام الشريعة تطبيقاً تاماً ، وقد الف بعض العلماء في ذلك مؤلفات اثبتوا فيها بعد البحث والتدقيق والمقابلة ان هذه القوانين موافقة لروح الشريعة بل انها مأخوذة عنها ، بل وجدوا ان كثيراً من قوانين اوربا مستنبط من الشرع الشريف وموافق له في كثير من الاحكام

نعم يوجد في قوانين الدولة بعض الاحكام مسكوتاً عنها ، وقد اقتضت الحكمة السكوت عنها مراعاة للمصلحة العامة التي قال بها المالكية وجمهور الفقهاء من غيرهم بل صرّح بعض العلماء ولا يحضرني اسمه الآن واظنه الامام القرافي انها معمول بها عند جميع الفقهاء عند التحقيق وقد ضرب لذلك امثلة متعددة ، وهي التي يعبرون عنها بالمصلحة المرسلة[1] — لا انكر ان هناك امراً مخالفاً للشرع نصاً واجماعاً وقياساً وهو مسألة الربا فان القانون يجيزها وهي مخالفة للدين ، غير انه لما كانت علاقاتنا مع الاجانب من حيث التجارة ومع غير المسلمين كذلك اباحها القانون وليس لنا ان نمنع الكتابيين من المراباة ولا ان نفسخ بيوعهم بذلك كما صرّح به جهابذة العلماء من الفقهاء ، على ان المسلم الذي يؤمن بالله واليوم يمكنهُ ان لا يتعاطى الربا ، وان ادعى انه ليس في امكانه ذلك فنقول له : انا نعلم طائفة من التجار المسلمين يتاجرون من غير مراباة — نعم ان ربحهم اقل غير ان فائدتهُ اعظم من حيث الدين

(١) لنا كلام طويل على المصلحة المرسلة وانها تقدم على الاجماع والقياس بل والنص حسب ما ذكره علماء الاصول ذكرناه في كتابنا « الاسلام روح المدنية » الذي رددنا به على اللورد كرومر فراجعه ان شئت

بل ومن حيث الدنيا ، لان المرابي يكون دائماً في شغل شاغل واضطراب دائم كما هو مشاهد من الذين يفلسون بسبب ما يتراكم عليهم من الاموال التي يستدينونها بالربا

— اذا علمت ايها القارئ الكريم ذلك يتضح لك ان ما يدعيه هؤلاء القوم انما يقصدون به التمويه والتضليل لمآرب لهم في النفس ، وانّ ما يدعون اليه هو حاصل ومعمول به ، ولكنها الاغراض والمقاصد تعمي وتصم وتدفع المرء الى ما لا تحمد عاقبتهُ ولا تُشكر مغبته — لطف الله بهذه الامة المسكينة —

وهناك قوم كل مقاصدهم سيئة ، لا يريدون الا ارجاع الحالة الأُولى وليست طلباتهم ممزوجة بخير قط ، وهم القائمون باسم «الجامعة السورية» التي تحميها باريس — فان هذه الجامعة « والاحرى ان تسمى المفرّقة » قامت بامرٍ لو حصل لكان فيهِ خراب المملكة لا محالة

كثرت هذه الجمعيات وتشعبت مقاصدها وتباينت اغراضها ، ونتيجة ذلك كله احباط مساعي الدولة الدستورية الجديدة وعرقلة ما عزمت عليهِ من الاصلاح والرجوع بها الى العهد السالف التعيس ·

واني ارى من الواجب اللازب ان لا يبقى من الجمعيات السياسية الا جمعية الاتحاد والترقي بعد تنقيحها من الزعانف الذين انتظموا في سلك اعضائها ، وتطهيرها من ادران اولئك المرتشين المستبدين الخائنين الذين عرفوا في الدور الماضي بالسيئات وظهروا اليوم بمظهر الحرية ، واخذوا يعملون بما يخالف مبدأ الجمعية وغايتها سعياً وراء منفعتهم الذاتية ، واهاجة للناس للقيام ضدها · ثم يُسعى بالتأليف بينها وبين غيرها من الجمعيات السياسية وادخال الاحرار الصادقين منهم فيها ورفض سواهم ، وبذلك تؤلف القلوب وتزال الاحقاد والضغائن ويسعى الكل وراء غاية واحدة تحت راية الاتحاد والترقي والنهوض بالوطن التعيس الى منصات السعادة · وان تمنع الحكومة كل جمعية تدعو الى سياسة الا هذه الجمعية التي ينضم اليها كل الجمعيات السياسية

بعد اختيار الاعضاء الاصحاء وبتر كل عضو فاسد

ثم يجب على هذه الجمعية ان لا تتداخل بشؤون الحكومة مطلقاً الا اذا رأت منها اموراً تنافي الدستور الذي اجهدوا نفوسهم للحصول عليه ، او رأت ان احداً من الحكام او من غيرهم يعمل على ارجاع الدور الماضي ، فحينئذ تبطش بكل من فعل ذلك بطشة تقضي بها عليه تربيةً له وارهاباً لغيره

واما ما عداها من الجمعيات الادبية والدينية والخيرية المجردة عن كل صبغة سياسية فلا بأس بتشكيلها على شرط ان لا تعمل عملاً مخالفاً للدستور ، والا فيجب الغاؤه والقضاء عليها قضاء مبرماً — وبذلك تراح الامة من عناء التفريق ، وسياسة الاهواء والاغراض النفسية ، وذلك خير عمل يعمله من يحب وطنه وسلامة دولته فيما اظن ، ومن نحا غير هذا المنحى ، وسعى غير ذلك السعي فهو احد رجلين ، رجل متقهقر يريد بالبلاد شراً تلقاء شهوته ، او رجل جاهل لا يعرف للسياسة معنى ، ولا يدري لسر الاجتماع والعمران كنهاً

رجال الاصلاح

نحن اليوم في حاجة شديدة الى الاصلاح ليبقى الدستور معززاً سالماً من كل طارئ ، ولكن

من المطالب بالاصلاح ؟

— المطالبون بالاصلاح خمسة :

رجال الدين وهؤلاء عليهم ان يقوموا بوعظ الشعب والنصح له وافهامه واجباته نحو الخالق والمخلوق والحكومة ، وتهذيبه تهذيباً شريفاً عالياً ، وتعليمه الدين

كما أنزل خالياً من كل بدعة وخرافة . فمتى قاموا بهذا الواجب تجلّى سلطان الدين على قلوب العامة وصرفهم عن الشر الى الخير وجماعتهم . يقودون لما فيه خيرهم وسعادتهم . غير ان علماء الدين قعدوا عن هذا الفرض وتركوا الوعظ والارشاد فحل بالامة العثمانية ما نحن مشاهدوه من الفوضى والتأخر وعدم سلوك الصراط المستقيم

ورجال المال . وهؤلاء عليهم ان يمدوا يد المساعدة لافتتاح المدارس وانشاء المعامل والمصانع وتشييد صروح عالية للصناعات الوطنية . ومتى تم لنا ذلك بقيت اموال البلاد محفوظة فيها . ونستغني اذ ذاك عن الاجانب الذين يبتزون اموال بل دماءنا ونحن عن ذلك ساهون لاهون . فنحن في حاجة شديدة الى المال لان به نوال كل مرغوب وتحصيل كل ما فقدنا من المدنية والتقدم . وهو الذي يعيننا على افتتاح المعامل وانشاء المدرسات واحياء مدنية اسلافنا الكرام التي بنوها بجدهم واجتهادهم وسعيهم وراء تحصيل العلوم والمعارف وتعلم الصناعات

واصحاب الجرائد والاقلام : وهؤلاء عليهم ان يتجردوا عن كل غاية سافلة . ويتنحوا عن ذكر ما يوقع الامة في الاختلاف والتفريق . او يجلب عليها هواجس وافكاراً سيئة وهي في حاجة الى ما يطمئن بالها ويسكن جأشها . وعليهم ان لا يذكروا الا ما كان خبراً يغلب عليه الصدق او مقالاً يفيد الامة ويبعث بها روح الجد والسعي الى ما ينهض بها من كبوتها ويقيلها من عثرتها . فرجال الاقلام هم قادة الشعب فان احسنوا القيادة اوصلوه الى الغاية الحسنة والعاقبة الحميدة . وان اساؤها كانت عاقبته الاضمحلال والدمار . وغايته السوء وخراب الديار — وقد كنا نظن ان صحافتنا تنهج منهجاً حسناً بعد الانقلاب فاذا كثير من اربابها لم يقصدوا بانشائها الا غاية غير مشكورة فلم يدعوا فيها الا ما هو ضارٌّ بالامة والوطن . ولم ينشروا الا ما يتقاضون من ورائه الدنانير كالرسائل المأجورة التي ملأها السفاهة والوقاحة والطعن في اعراض الناس والتشفي منهم . نعم انا لا أنكر ان كثيراً مما يُطعن فيهم هم مستحقون لذلك بل

لما هو اعظم منه ، غير ان طائفة من الصادقين في خدمة البلاد الذين لا ذنب لهم الا انهم احرار يبذلون جهدهم لتوطيد الدستور والانتصار للمظلوم وردع الظالم عن ظلمه قد جرتهم قافلة اصحاب الامضاآت المكذوبة والرسائل المأجورة ، فاختلط الحابل بالنابل والبري بالمجرم ... فاتقوا الله يا ارباب الاقلام ، وتذكروا يا اصحاب الجرائد ولا تدعوا الاصفر الرنان يسيطر عليكم فتنشروا الاكاذيب والمطاعن الشخصية ، فاتقوا الله في هذه الامة ، وخذوا بايديها الى ما يفيدها ، وانشروا لها ما يرفع بها ، فانكم رعاة لها وكل راع مسؤول عن رعيته ، ولنا كلام طويل عن الصحافة وحملة الاقلام نرجئه الى وقت آخر ، وفيما قدمناه اليوم كفاية .

ورجال الحكومة : وهؤلاء هم روح البلاد وملح الامة ، فمتى فسدوا فسدت الامة وتأخرت البلاد ، ومن وظائفهم حفظ الامن ورقابة المفسدين والاشقياء واحقاق الحق وابطال الباطل والانتصاف للمظلوم من الظالم وغير ذلك مما يجعل البلاد واهلها سعداء ، وكل هذه الصفات التي يجب على الحكام ان يتصف بها كانت مفقودة في الدور الماضي ، لذلك اصبحت البلاد خلاء من الرجال العظام ، وصارت الصناعات اثراً بعد عين ، واستفحل الظلم واستأسدت الرشوة ، وان ما نراه اليوم بعد ان نشر الدستور لواءه من المظالم والفوضى هو اثر من آثار ذلك الدور ، وان حكم الاستمرار المعروف عند علماء الطبيعة لم يزل جارياً ، غير ان التيار لا بد ان ينتهي عند حد بشرط ان نقاومه ونبطش باهله ونبين نقائصهم حتى يعتدلوا او يعتزلوا ، واما ان تركناهم وشأنهم فيزداد التيار ، ويطرد حكم الاستمرار ، ويرجع الامر الى ما كان عليه

— يشكو كثير من الناس بل كلهم من ازدياد الفوضى والظلم والرشوة ومخالفة الحكام لاحكام القوانين ، وانهم محقون بذلك ، لان رجال الحكومة في الدور الماضي لم يزالوا رجال الحكومة في الدور الحالي ، وهؤلاء قد اعتادوا الظلم والرشوة والاستبداد حتى تأصل ذلك في نفوسهم وصار خلقاً من اخلاقهم ، فهم

عودوا نفوسهم الاقلاع عنه فلا بدّ انهم يميلون بحكم القسر الى ما تعوّدوه ، وكان يجب عزلهم واستبدال غيرهم بهم ، لولا قحط الرجال وقلة الصالحين للاعمال ، نعم ! لا انكر ان فيهم رجالاً احراراً صادقين في خدمة الوطن ، وهذا لا ينكره الا من استولى التعصب على قلبه حتى ران عليه ، وهذا قد شاهدته في مدينتنا بيروت يوم كان الاستبداد ضارباً اطنابه والجواسيس كالجراد المنتشر تنقب عن الاحرار ورجال النهضة، فان هذه الطائفة القليلة لم تكن تجاري رجال الدور الماضي على اعمالهم المنكرة ، بل كانت تبذل كل الجهد لتخليصهم من مخالب الجواسيس والمستبدين ، واني اتكلم عن مشاهدة واختبار ، وقد جرى لي كثير من المحن الاستبدادية التي سببها الجواسيس اللئام ، فقاموا بناصري وعملوا على تمزيق التقارير بعد ان كان الخطر قاب قوسين او ادنى — ولا بد ان يكون في كل بلدة من بلاد الدولة رجال قلائل من الحكام ، هم على شاكلة هؤلاء الكرام

— يا رجال الحكومة اصلحوا انفسكم وعودوها العمل بالقانون قبل ان يأتيكم يوم لا ينفع فيه مال ولا بنون الا من كان مخلصاً في اعماله ، جارياً في سنن العدل ، سالكاً سبيل الحق ونصرة العدل بين الرعية ، ولا تظنوا ان هذه الفوضى تدوم ، فما هي الا سحابة صيف عن قليل تقشع ، وما هي لازمة من لوازم الانقلابات ، ثم تضمحل وتذهب « فاما الزبد فيذهب جفاء واما ما ينفع الناس فيمكث في الارض »

والقسم الخامس من رجال الاصلاح هم رجال المبعوثين الذين تنتخبهم الامة لينوبوا عنها بما يلزمها من الاصلاحات وما تحتاج اليه مما يرقى بها في معارج المدنية ، وهؤلاء عليهم سن الانظمة والقوانين التي تعود على الامة والبلاد بالخير ، غير اننا نرى بعضهم اضاع ثقة الامة به وعمل بما يخالف مقصدها ، واضاع وقته الثمين بالسكوت او بالكلام الذي لا طائل تحته ولا نتيجة ، واخص بالذكر من هؤلاء النواب نواب البلاد العربية التي هي اشد حاجة الى الاصلاح من كل البلاد العثمانية ، والذي بدا

لي ان كل واحد منهم يعمل لمصلحة نفسه ، ولا يعملون عملاً متفقين ، وكان الاولى بهم ان يتذاكروا في كل تقرير يريد احدهم ان يقدمه ، ويتحدوا على نصره والاخذ بيده ، فان فعلوا ذلك نالوا بغيتهم ، غير انهم يقدمون التقارير من غير ان يعلموا اخوانهم ليستأثروا بالرأي ، فتضيع اتعابهم سدى ، كما جرى في التقرير الذي قدمه مندوب البصرة بوجوب معرفة المأمورين لغة البلاد التي يعيَّنون فيها ليمكن بذلك التفاهم بين الشعب والحكومة ، فرُفض ذلك التقرير ، ولم يعضده رفقاؤه من النواب فلا حول ولا قوة الا بالله

مجلس الامة عليه قوام حياة البلاد وسعادة العباد ، فهو يحتاج الى اتفاق اعضائه واتحادهم ليعملوا عملاً يفيد الوطن ، وان مجلسنا النيابي هو اشد احتياجاً الى الاتحاد والوئام من كل المجالس النيابية في العالم ، لانه يضم في ردهته اعضاء مختلفي الاديان والمذاهب والاجناس ، فلو ان كل اهل جنس او دين ينظرون الى غيرهم نظر الاحتقار ويناوئونهم في كل ما يطلبون ولو كان وراءه نفع عظيم فهناك ضياع الآمال

الامة اليوم كلها جسم واحد فيجب ان يسعى النواب الى كل ما يعود عليها جميعها بالخير من غير نظر الى جنس ولا مذهب ، وان يساعد اهل كل جنس الجنس الآخر فيما يطلب ان كان حقاً ، فان بذلك انهاض الامة ورقيها

* * *

فعلى كل رجل من رجال الاصلاح ان يتجرد عن كل غاية ، ويسعى السعي الحثيث لمصلحة الوطن ، ويعمل كل وسيلة لبتر كل عضو فاسد في مجتمع الامة العثمانية ، والله لا يضيع اجر المحسنين

الارادة

اجتمع اعضاء مجلس شورى ولاية بيروت "المجلس العمومي" في دار ملبث الاسعد وكان بينهم السيد محمد رشيد رضا صاحب مجلة المنار الشهيرة فاقترح عليه بعضهم ان يقوم فيهم خطيباً فخطب خطبة عمرانية مهمة ذكر فيها ما يجب على هذا المجلس اتباعه[1] ، وكان فيما ذكّرهم به وحثهم عليه كلام موجز مفيد عن الارادة ، قال :

ايها الاعضاء الكرام : ان هذا الغرض الذي تطالبون به عظيم ، ولكنَّ قوة الارادة في الانسان تصغّر كل عظيم ، وتسهل كلَّ عسير ، فاذا وجهتم عزائمكم الى ذلك بالاخلاص فانكم تصلون الى الغاية باذن الله

وكلُّ من جدَّ في امرٍ يحاوله　　　　واستعمل الصبر الاَّ فاز بالظفرِ

يرى بعض الفلاسفة انَّ الانسان لا يجزم ارادته بامرٍ ممكن الاَّ وينفذ ، وكان الاستاذ الامام على هذا الرأي ، وقد قال لي غير مرة : انهُ لم يجزم ارادتهُ بطلب شيءٍ جزماً تاماً لا تردُّد فيهِ الا وحصل ، وقد كان حكماء الصوفية على هذا الرأي وعبّر عنه بعضهم بقوله : « ان لله عباداً اذا ارادوا اراد » اي اذا صحَّ توجه ارادتهم الى شيء تعلّقت ارادة الله تعالى بهِ ، وما تعلقت به ارادة الله نفذ حتماً ، فعلى الانسان ان يعرف قيمة نعمة الارادة فيوجهها الى خدمة وطنه جازماً بانه اهل لان يرقيه وهو بهذا يكون اهلاً له مهما كانت معارفه ، فانَّ تفاضل الناس بالارادة فوق تفاضلهم بالمعرفة ، فما كل عالم ينفع ، وكل من اراد ان ينفع فانه ينفع على قدر استعداده

* * *

النبراس — : ذلك ما قاله السيد الاستاذ الرشيد وهو من خير ما قيل في هذا الموضوع الجليل ، وانه على ايجازه واختصاره جمع المعاني السامية والآراء الصائبة ولو عُمل به بل بجزءٍ منه لبلغنا الدرجة الرفيعة والغاية القصوى مما نتطلبه من الاصلاح

(١) نشرت هذه الخطابة برمتها جريدة « الاتحاد العثماني »

وما نفكر فيه من الرفع بالامة من تدهورها وسقوطها بين براثن الجهل ومخالب الاضمحلال

اجل: صدق الصوفي الحكيم بقوله: « ان لله عباداً متى ارادوا اراد » فان هذا القول صحيح معقول . لا يدفعه ولا ينفيه الا من ليس له معقول ، وهذا القول الحكيم مبني على تلك القاعدة الجليلة الثابتة — نظام ربط الاسباب بالمسببات[1] — وذلك ان الله امر الانسان بالعمل الذي هو سبب سعادته وروح حياته ، ولا يكون عمل الا بالنية والعزم والارادة ، والى هذا اشار النبي صلى الله عليه وسلم بقوله : « انما الاعمال بالنيات وانما لكل امرئ ما نوى » فمن احسن النية وتوجه للعمل بقلب ثابت وارادة ناضجة فان ما اراده من الاعمال كائن البتة — ضرورة وجود المسبب عند وجود السبب . فالرجال الذين يريد الله اذا ارادوا هم اولئك العظام اصحاب العزائم العظيمة والنفوس الكبيرة والهمم القعساء والارادة الشماء . اولئك الذين اذا نووا امراً اوعزموا على شيء توجهت ارادتهم اليه و بذلوا ما في وسعهم دون تنفيذه واجرائه وحينئذ تتعلق ارادة الله سبحانه بان يكون ما ارادوا لانهم بذلوا الجهد واستعملوا الاسباب التي ارشدهم اليها للحصول على مايسعون وراءه ، وحاشا الله ان يخيب قوماً نهجوا المنهج واتعبوا النفوس وعملوا الاسباب الممكنة في سبيل تحقيق امانيهم وارادتهم

ولنا في الانقلاب الاخير اعظم عبرة واسطع برهان على هذا المدعى : كلنا يعلم ما كانت تقاسيه الامة مما اصبحنا نسأم من ذكره لانه صار بديهياً لدى طبقات الناس كافة ، فقد أنشئت الجمعيات السرية للقيام ضد الحكومة الهالكة وابادة الظلم والاستعباد ، ولكن لم يفز احد بما كان يريد ، لانه لم تكن هناك عزائم صادقة ونفوس فدائية ولا ارادة صحيحة تتوجه نحو دك معالم الجور والاستبداد ، ولهذا لم ينالوا بادئ الامر ما كانوا ينوونه من تخليص الامة وفك اغلالها وقيودها ، غير انهم لم يفتروا ولم تكل عزائمهم ولم تضمحل نيتهم بل ظلوا مثابرين على ذلك الى ان كانت الارادة

(١) راجع حديث هاشم بن يحيى في العدد الماضي فان فيه كلاماً وافياً في الاسباب والمسببات

الناضجة التي ولّدت فيهم روح الفدائية والاقدام ، فاقدموا واراد الله ما ارادوا، وكان ما كان مما عرفه الخاص والعام

ان توجه الارادة في مخلصي الوطن هو السبب الذي احدث هذه الامور العجيبة التي ادهشت العالم باسره ، ولولا الارادة والحزم لبقيت الامة في حالة الخمول والجور ، ولأصبحت الدولة في اسر العداة ، ولأمست البلاد نهباً مقسّماً

— ربّ قوم يقولون : انا نرى كثيرًا يريدون ان يفعلوا غير انهم لا يجنون من ارادتهم سوى خيبة المسعى ، فلو ان الارادة تفعل لكان الناس في رخاء وهناء وعلم وارتقاء .

— نقول : ان هؤلاء القوم الذين تعنونهم هم احد رجلين : رجل ضعيف الارادة بليد الحزم فهو ان خطر له عملٌ ما يريد ان يعمله يكون بين الخوف والرجاء ويعتوره عاملا الاقدام والاحجام ، فتارة يريد ثم يعرض له فكر اما صحيح او خطأ فيرجع عن ارادته ، فهو يقدم رجلاً ويؤخر أخرى بين تلك العوامل التي تتنازعه من كل الجهات ، فكأنه المعنيُّ بقول القائل :

فصرتُ كأني بين شقين من عصا حذار الردى او خيفة من زيالكِ

فأجدر بمن كان كذلك ان يقال عنه : انه لا ارادة له ومن لا ارادة له فهو عن العمل بمعزل — والرجل الثاني هو رجل صحيح العزم قوي الارادة غير انه يقدم على العمل قبل اوانه ، ويريد ان يجني الثمرة قبل نضجهـا ، فلا ينتظر الشيء الى ابانه ليقتطف فائدته ، فعمله اذن عمل مبتسر « سابق اوانه » ومن اراد عملا مبتسراً فهو كالرجل الاول من حيث انهما يجتمعان في عدم نجاح عملهما وسقوطه

وهناك رجل ثالث وهو وسط بين الرجلين ليس عنده تقلّب الاول ولا عجلة الثاني ، بل هو ثابت الجنان رابط الجأش ، لاتغيّره الحوادث ، ولا تنهنهه الكوارث، يأخذ للامر عدته ، ويهيّئ له الاسباب ، ويتحيّن الفرص لانفاذ ما يريد ، فان رأى

انفذ الامر خيراً وفالحاً انفذه فكان ناجحاً فيه ، وان رأى تأخيره اولى أخره وترقب الاوان الذي يبدأ بتنفيذه فيه ذلك الرجل — هو صاحب الارادة الذي يعنيه السيد الرشيد في مقاله . ويريده ذلك الصوفي العظيم في عبارته ، اما التهور في الامور وانفاذها قبل ان يأخذ المرء للشيء عتاده فهو من الخطإ والجهل باسباب بلوغ المراد :

قد يدرك المتأني بعض حاجته وقد يكون مع المستعجل الزلل

الامة العثمانية على جانب عظيم من الاستعداد للرقي والبلوغ الى مراتب المدنية والسعادة ، فاراضيها خصبة وعقولها سليمة ورجالها اكفاء ، ولاينقصهم الا ارادة صحيحة تبعث فيهم روح الاقدام وتشعل شرارة العمل ، فمتى قويت فيهم روح الارادة فانك ترى منهم ما يدهش ويعجب . ولكن من اين لنا برجال ذوي ارادة تدفعهم الى القيام بما ينجح الوطن وينهض به من هدها لكبوة وينقذهم من تلك الاهوة ، واكثر رجالنا قد شغلتهم انفسهم واغراضهم الذاتية عن النظر الى ما ينفع الامة ويقيل عثرتها ؟ فلو تجرد رجالنا الذين اودع الله فيهم الاستعداد لعظائم الامور عن الانانية ، وتفرغوا لما يفيد ووجهوا ارادتهم الى نفع بلادهم وصرفوها عن الشر لبلغنا ما بلغه سلفنا من التقدم واخضاع امم الارض ، بل كنا نبلغ اكثر مما بلغوا ونفعل اكثر مما فعلوا ، ذلك لان الوسائل في هذا العصر قد كثرت وطرق الرقي والتقدم الى الامام قد كثرت وسهلت ، غير اننا عن كل ذلك غافلون ، وفي وادي الكسل والجهل نائمون ، وفي تيار الشرور والمفاسد غارقون ، وبسفاسف الامور مشتغلون ، وعن كل ما يفيدنا لاهون ، ومع ذلك فانا للاصلاح والترقي طالبون ، فهل ذلك يمكن ان يكون ؟

امتنا خير الامم وشعبنا خير الشعوب ، فان الذكاء الفطري الذي منحنا اياه طيب المناخ وطبيعة الاقاليم ليس له مثال في جميع بقاع الارض ، غير اننا صرفنا ذلك الذكاء الى تعاطي الشر والاشتغال بالعبث ، في حين ان غيرنا من الامم الاوربية بعد ان صحوا من سكرتهم وفاقوا من غفلتهم اجهدوا نفوسهم واتعبوا عقولهم حتى وصلوا الى

ما زاهم عليه الآن من المدنية الباهرة والترقي المدهش .

بلغ سلفنا من العلوم والمعارف شوطاً بعيداً ، فقد كانت لهم اليد الطولى في جميع العلوم والفنون وكل ما يسمونه العلوم الكونية او العصرية وكانت لهم مدنية زاهرة ضربت بها الامثال ، وقوة لاتبارى أخضعت لهم الامم ، وملك عظيم مدّ جناحه على قسم عظيم من المعمور ، ولا تزال آثارهم العلمية والفنية وبناياتهم الضخمة الفخمة ناطقة بما كان لهم من الرقي والعمران ، وماحصّلوا ذلك المجد العالي والفضل البازخ الا بما لهم من الارادة العظيمة والنفوس الكبيرة — ولكننا اضعنا ذلك السعي فبؤنا بخزية الابد وعار الدهر — وذلك عار علينا عظيم لايمحوه من لوح الوجود الا الجدّ والاجتهاد لارجاع مفاخر الاجداد ، وتوجيه العزم الاكيد والارادة العالية لاقتباس العلوم وانشاء المعامل والمصانع والسعي الحثيث وراء كل امر نافع ينهض بالوطن وبنيه

— رب قائل : ان انفاذ الامر وايجاد العمل يتوقفان على الارادة ولا إرادة عندنا فانت تطلب المستحيل

اقول ان الارادة عندنا ثابتة ، غير انا صرفناها الى مايضر لا الى ماينفع . والدليل على ذلك أن احدنا متى وجه عزيمته الى امرٍ من الامور السافلة فانه يبذل جهده وراء تحقيقها حتى بالماء ، ولو تحت شفار السيوف وصليلها ، ورصاص المسدسات والبنادق ، ونحن لا نطلب من اصحاب الارادة والعلماء والاغنياء ان يصلوا الى هذا الحد من الخطر ، وانما نطلب من العالم ان ينشر علمه ومن الغني ان يبذل ماله و يسعى الكل بارادة واخلاص لتخليص الوطن من مخالب الجهل كما خلصه الجيش والاحرار من براثن الاستبداد والاستعباد

فليكن عندنا رجال ارادة وحزم وعزم يصرفونهـا الى الخير حتى ننال المراد ، فان لله رجالا اذا ارادوا اراد .

الالقاب والرتب

الميل الى المجد والرغبة في الشرف والسعي وراء النفوذ خُلُق من اخلاق الانسان وشهوة من شهواته ، يضحي كل ما في وسعه للحصول عليها ، وقد يؤدي به ذلك الى انفاذ ما لديه من المال ولو بقي صفر اليدين ، او الى بذل دمه دون الوصول الى مبتغاه. واما الذين لا يعبأون بهذا الامر فهم قوم صغار النفوس ، ضعاف الهمم ، خامدو العزيمة ، لا يستطيعون حيلة يحتالون بها لينالوا ما يسعى اليه اصحاب النفوس الكبيرة والمدارك السامية والهمم القعساء ، وان طولبوا بأن يسعوا الى المجد ويجدّوا وراء العلى تعللوا بما هو معروف عنهم من رغبتهم في الانقطاع عن مظاهر هذه الحياة وعدم الالتفات اليها ، وقولهم هذا لو علمت رياء ومداهنة ، وأحبولة يصطادون بها عقول البسطاء من العامة ، وهم لو كان عندهم عزيمة صارمة وهمة لا تعرف الملل لسعوا الى ذلك سعياً حثيثاً وحصلوا ما حصَّل غيرهم ، ولكنَّ حبَّ الراحة والميل الى الدعة والاخلاد الى الكسل — كل ذلك يدعوهم الى الاستكانة : فهم كمن

ظنَّ دين الله في ترك الدُّنا ورأى الاعراض عنها انفعا
وهو لو جاءته منها بدرةٌ طلَّق الدنيا وعاف الورعا
فهو لا زهداً بها عنها نأى لكن الجدُّ يذيب الاضلعا
خاف ان يسعى فيدمي رجله فرأى الراحة فيما صنعا (١)

فالجدّ في سبيل المجد والتعب في ارتقاء مراقي العلى خلَّة حميدة وخصلة يجدر بكل ذي اب ان يتخلق بها ويهيم في جمالها ويستميت في ميدان الجدّ لاجلها

غير ان الناس في طلب ذلك وتفسيره على مراتب ومذاهب بعضها حميد و بعضها قبيح ، والكل متفقون في المبدأ وهو نيل المجد والشرف ، غير أنهم مختلفون في الغاية التي ينصبون

(١) الابيات لمنشيء « النبراس » من احدى « القصائد الشرقية »

لاجلها لاختلافهم في تفسير معانيها — فقسم راقية عقول ذويه قد عرفوا المجد الحقيقي فدلفوا اليه والشرف الصحيح فمضوا اليه بالواجد ، وهؤلاء يعتقدون أن المجد والعلى في التمسك بمعالي الامور والتخلق بالاخلاق الفاضلة ، والسعي بكل ما في الوسع لاكتساب العلوم وتحصيل المعارف ، وان يعملوا كل عمل يرجع على الوطن وبنيه بما ينهض به الى اوج النجاح ، وان يسعوا كل السعي الى ما يفيد الدولة ويرفع عنها كل تأخير وانحطاط — وهؤلاء لايهمهم رتبة ولا وسام ولا لقب من القاب التعظيم لانهم انما يعملون لخدمة الوطن والامة غير ناظرين الى مقصد سواه

والقسم الآخر قصّر عن تلك المرتبة وهو ان يكون له مجد باذخ وفخر عال ، ومكانة سامية في نفوس قومه ، فلم يجد واسطة لذلك سوى السعي وراء تحصيل رتبة وطلب وسام ليقال انه من المقربين من الدولة ، وليخاطب في الرسميات بالقاب التعظيم والتبجيل ، وهو لم يعلم ان المرء بادبه وعمله النافع لا برتبته ووسامه ، فان المرء الذي لم تكن اخلاقه واعماله وسامات يزين بها صحيفة حياته وتاج مروئته فلا يفعه وسام ولا تعليه رتبة

ان كثيرا ممن نالوا الرتب العالية والوسامات المرصعة في الدور الماضي لم يكن لهم عمل يستحقون عليه ذلك ولو عوملوا بالعدل لما استحقوا الا الصفع على الرقاب واللطم على الوجه والقصع على الرأس ، غير ان بذل الاموال في تلك السبيل قد مهّد لهم الحصول على هذا الامر ليقال فلان صاحب السعادة او العزة او الرفعة او العطوفة او الفضيلة او السماحة ، وليمتدوا في ايام الاعياد بالالبسة المزركشة والنياشين المرصعة ليلفتوا اليهم الانظار فيتيهوا عجباً واستكبارا — اما جهلة العامة وضعفاء العقول من الخاصة فكانوا يغترون بهذه المظاهر الوهمية وينحنون لاصحاب هاتيك الالبسة والوسامات اجلالا — واما ارباب العقول الصحيحة فكانوا يسخرون من اولئك الاقوام ويضحكون من أعمالهم ، ويأسفون على تلك الاموال التي بذلوها للحصول على هذه الازياء والالقاب

التي لا تسمن ولا تغني من جوع — كما ان الجميع بعد الدستور في الاستهزاء سواء، حتى ان كثيراً ممن اضاعوا الاموال في تلك السبيل ندموا على ذلك خصوصاً بعد ان عرفوا بانه لابدّ من الغائها ومساواة الناس بعضهم ببعض الامن يرفعه علمه وادبه واعماله الخيرية

وا أسفا على تلك الليرات التي اختلسها رجال الدور الماضي وتجار الالقاب والرتب من ضعفاء العقول الذين لا يهمهم الا ان يقال لهم : « عطوفتكم سعادتكم سماحتكم فضيلتكم » ولا يروق لهم الا ان يخرجوا في الرسميات بحلل زاهرات ....

واني لاشد اسفاً على الذين استدانوا الاموال واشتروا بها وساماً او رتبة ، وكثير لم يخلصوا الى الآن من اعباء ذلك الدين الذي اثقل عاتقهم، وارهقهم عسراً، فهم يلعنون الحرية والاحرار وكل من يبغض الدور الماضي الذي كانوا فيه مقربين من المستبدين والظالمين

ان اكثر من نال رتبة علمية جاهل مركب لا يعرف للعلم معنى ولا يدري للفنون مغزى، وانك لترى ان العلماء العاملين لم ينالوا مانال اولئك الجهلة من الرتب والالقاب. لانهم يحتقرونها شأن كل عاقل، ولو طلبوها فليس لديهم من النقود مايرشون به الذين كانوا يبيعون الامة والدولة بالدرهم والدينار

وهكذا الشأن في اولئك المتمولين الذين اشتروا الوسامات والمناقب بليراتهم ، واولئك الذين استدانوا الدنانير ورشوابها الخائنين ليقال انهم من المقربين

اما وقد مضى زمن التمويه والتضليل ، ولم يبقَ افتخار الا بالعلم والعمل الصالح ، فقد رجعت الاشياء الى اصولها والمياه الى مجاريها ، فكل من حاز رتبة او وساماً وليس اهلاً لذلك ، فقد رجع الى اصله وتساوى ماضيه بحاضره ويومه بأمسه

فلنسعَ جميعنا الى طلب المجد والشرف الصحيحين من طُرقهما الشريفة ووسائلهما النبيلة، وذلك بتحصيل العلم وانشاء المدارس والمعامل والعمل النافع ، فان هذا هوا الفخار الحق والمجد الصحيح ، و « لمثل هذا فليعمل العاملون »

شكوى وآمال

«نظمت في ايام الاستبداد»

ابى العزم مني ان اكون كسولا   وان ارتضي غير الثناء سبيلا
وما زال حبي للفضائل ناميا   وما زال قدري بالعفاف جليلا
وان يفتخر غيري بحسن كواعب   فقد كان فخري بالكمال طويلا
على مَ زماني قد تبسم ثغره   لكل جهول وارتضاه خليلا
وعادى ذوي الاحلام حتى كأنهم   اصابوا له عرضاً فعاد عذولا
اهذي جنايات الحجا فتنضه   ونلبس ثوب الجهل طال ذيولا
لعمري عدلنا عن محجة سادة   كرام فتيها فتية وكهولا
ابا معشراً ضلوا السبيل فأصبحوا   حيارى وقد كان الرشاد دليلا
فما ضركم اما قطعتم ضغائنا   وصيرتمُ داعي الولاء رسولا
وقمتم لاحياء العلوم بهمة   ترد خميس الحادثات كليلا
بني الشرق ان الشرق امست ربوعه   على العلم تستبكي الحليم طويلا
اليس عجيباً ان نُقيم بأرضه   ونرضى له بعد الشروق أفولا
عكفنا على حب الحياة فنابنا   خطوب فكانت للفناء سبيلا
دعوني فما للشرق ذنب وانما   بنوه استكانوا ذلةً وخمولا
ولما تمادوا في الهجوع أصابهم   هوان وفيهم قد أناخ حمولا
فباؤا بخسف لا يبارح ربعهم   من الجور اذ امسى الكريم ذليلا
ورب وشاةٍ لا تزال تقودنا   الى الموت قسراً بكرة واصيلا
وشاة لنا يبدون حباً وانهم   لئآم وما كيد اللئيم قليلا
وما ذاك الا ان ينالوا بسعيهم   وساما فبعداً للوشاة وويلا
الم يعلموا سوء المآل بموقف   يكون به هول المسيء طويلا
رويدك لا تيأس فكل ملمة   تزول فصبراً ما استطعت جميلا
وعلل فؤاداً لا تزال تنوبه   خطوب فأمسى بالخطوب عليلا
الى أن ترى بدر العدالة مشرقاً   يجرُّ على جيش الظلام ذيولا

بيروت   محمد راشد عيتاني

المسكرات سم قتال

اطلعت على مقالة بهذا العنوان مندرجة في مجلة « الاميركان هوم » الانكليزية بتاريخ كانون الثاني سنة ١٩٠٩ فترجمتها لمجلة « الاخلاص » لتكون تذييلاً لما نشرته في العدد الاول منها قالت تلك المجلة ما ترجمته :

اننا كثيراً ما نرى رجالاً يرددون هذه الجملة : « انا نشرب لكن كمية قليلة لذلك لم يرنا احد سكارى ، مع اننا كل يوم نشرب قليلاً منهُ ، فاي بلاء اصابنا من شربه؟ وهل فينا شيء من العلل؟ » فيظهر من قولهم هذا انهم تمسكوا بحججهم هذه لما نظروا الى ظواهر اجسامهم ، ولكن يا ترى هل هم حقيقةً سالمون من العلل والامراض كما يدّعون ؟ كلا ، كلا ، فان علل ومفاعيل المسكرات لا تظهر سريعاً بل حتى يتمّ الانضاج العامل بهِ جرعات المسكرات مهما كانت قليلة

فشارب الوسكي مهما قلّت جرعته متى خرج الى السوق تبدو عليهِ مخائل تعاطيها وان كان غير سكران ، وان كان قد مضى على اخذه لها او لغيرها من المسكرات بضع ساعات . فمن ينعم النظر يجد ان جسد الشارب قد كان عرضة لجرثات فتاكة

نعم ان شارب القليل من المسكرات لا تظهر عليهِ آثار التسمم بما يشربهُ الا بعد حين ، فانها تنهك الجسد رويداً رويداً ، ولهذا السبب نرى المسنّين الذين كانوا يرتشفون القليل من المسكرات في زمن الشباب يقاسون انواع الآلام والاوجاع التي من جملتها الزكام وداء المفاصل والنقرس والنحول وغيرها مما يجعل كل جزء الجسم حتى العظام تتألم - هذا هو مساء نهار شبابهم قد حصدوا فيهِ ثمرات قولهم : « نشرب باعتدال فلا ضرر علينا منه »

المسكرات سمٌّ كامن مهما قلّت جرعته . وانهُ لكذبٌ مبين وافك جسيم وشطط عظيم ان يقال : ان المواد الكحولية لازمة للرجل الذي يشتغل بالاعمال المتعبة بدعوى

انها تعيد القوى ومـا شاكل ذلك ، فالتهيج الصناعي المنبعث عن شربه ينتج ضعفاً وانحطاطاً في الاعصاب حتى ينهكها

المسكرات لا تصلح لأحد ، ولكنها تضرُّ بكل احد

«المسكرات تولد الامراض الفتاكة في المعدة والكبد منها الفالج والاستسقاء والجنون والداثور

المسكرات تزيد الامراض كافة شدةً وحدة وتسبب التيفوس والتهاب الرئة ومرض الحمراء والزكام

نعم ان هذه الامراض قد تصيب غير شاربي المسكرات ، لكنها تكون اذ ذاك خفيفة ، اما شاربها فمتي اصابهُ احدى هذه العلل عجلت له شرب كأس المنون المحتم المسكرات اخبث واضرّ وباء مهلك للصحة والذرية ومدمّر لنجاح الامة . انتهى

بيروت عبد الوهاب

متفرقات علمية وصحية

﴿ الضباب والسحاب ﴾ لا يخفى ان الشمس متى اشرقت على مكان تسخنه بحرارتها فتحول ما فيهِ من الماء والرطوبة الى بخار كما تتحول الماء اذا سخن على النار ، وعلى ذلك يتحول قسم من مياه الارض الى بخار كل يوم فيصعد ذلك البخار في الهواء غير منظور حتى يبرد فيتكاثف ويظهر ، فان تكاثف قريباً من سطح الارض فهو الضباب وان تكاثف عالياً فهو السحاب ، فلا فرق بين الضباب والسحاب الا في العلو ، فاذا ارتفعت ضبابة عن سطح الارض الى قمة جبل صارت سحابة ، واذا هبطت سحابة من قمة جبل الى سطح الارض صارت ضبابة . فالسحاب لا يتكون مالم يكن الهواء رطباً «اي مالم يكن فيهِ بخار مائي» ومالم يبرد ويتكاثف ، ومتى تمَّ ذلك في الطبيعة على حدّ محدود تكوَّن منه ضباب او سحاب . كما يحدث اذا تنفسنا ايام الشتاء الباردة فاننا نرى نفساً خارجاً

من افواها بصورة ضباب او دخان وما ذلك الا لان نفسنا يخرج رطباً حاراً فيصادف الهواء بارداً فيبرد وتتكاثف الرطوبة التي فيه فتظهر

﴿الاثمار المضيئة﴾ في جزائر المحيط وفي بعض جهات اميركا الجنوبية نوع من النبات له ثمر يسمونه « زبدة الجوز » او « شمعة الجوز » ويسميه اهل البلاد الاصليون بلسانهم « سابو كايا » يقتاتون به ويستضيئون بنوره لانه يشتعل بلا دخان ولا رائحة، يوقفون الجوزة في موقف كالمسرجة ويشعلونها فتضيء الى آخرها «عن الهلال»

﴿مستشفى للسل سابح في البحار﴾ تقرر لدى الاطباء أن السل لا يشفى الا بالهواء النقي المطلق والغذاء الجيد ، فالغذاء ميسور في كل بلد ، واما الهواء النقي فافضله هواء البحار ، ولذلك قد اخذ بعضهم يهتمّ بانشاء مستشفى للسل « سناتوريوم » في باخرة كبيرة تطوف البحار تعدّ فيها الاغذية على مايناسب المسلولين ، وتُبنى فيها غرف مكشوفة يلعب فيها الهواء ، فيدخله المريض ويدفع جعلاً لا يزيد عن اربعين فرنكاً عن الطعام والمنام كل يوم ، ويجد كل مايحتاج اليه هناك . والشفاء مضمون ان لم يكن المريض قد بلغ اقصى درجاته واخذ الضعف مأخذه من المريض ، فاذا قضى المريض شهراً او بضعة اشهر في هذه السياحة عاد صحيحاً معافى . وسيخرج هذا المشروع الى حيز العمل قريباً «عنه»

﴿نيازك جديدة﴾ سقط في قرية « جوبيلا » باسبانيا خمسة احجار نيزكية يختلف وزنها من كيلو غرام الى خمسة كيلو غرامات ، واتفق وقوع بعضها على زرع جافّ فحدثت حريقة ، لان النيازك تتقد حرارتها بالفرك لسرعة سقوطها من اعالي الجو ، وكسروا بعضها فوجدوا باطنه مبلوراً واما ظاهره فقد اكتسى قشرة خشنة اذابتها الحرارة فذهب تبلورها «عنه»

﴿جائزة بريسا في اكاديمية تورين﴾ اعلنت اكاديمية العلم في « تورين » بايطاليا عن جائزة قدرها ٩٣٠٠ فرنك عينها « المسيو بريسا » نصير العلم والعلماء

تعطى مكافأة عن اعظم كتشاف او اختراع او افيد تأليف علمي يظهر سنة ١٩١١ مهما تكن جنسية صاحبه او تبعيته ، اي انه اعطى المخترعين والعلماء مهلة ثلاث سنوات للقيام باحد هذين العملين   « عنه »

﴿ معرفة الذكر والانثى قبل الولادة ﴾ كل ماقيل عن معرفة الذكور والاناث قبل ولادتهم انما هو مجرد خبط وحدس الى ان اكتشف طريقة لذلك احد علماء الدجج حديثاً (هو مهندس انكليزي اسمه وليس) كان هذا العلم الدجاجي في مفرخه ذات يوم فخانت منه التفاتة الى جدران المفرخ وفيه قطعة من الفولاذ الصلب معلقة بسلك ، فاذا به يراها تتحرك لغير سبب ظاهر فتحير في الامر واخذ يفتش عن السبب فخطر له ان يرفع سلاً من البيض كان موضوعاً تحتها فزالت حركتها ، فعلم اذ ذاك ان هناك علاقة بين البيض والحركة ، فاخذ يوالي تجاربه فتوصل الى الامور الآتية :

اولاً : ان البيض الفاسد لا يحرّك الفولاذ — ثانياً : ان البيضة تحتوي على نطفة دجاجة تحرك الفولاذ ذهاباً واياباً مثل خطران رقّاص الساعة — ثالثاً : ان البيضة التي تحتوي على نطفة ديك تحرك الفولاد حركة دائرية

وقد جرب ذلك مئات من المرات فصحت التجربة في كل مرة ، فصارت قاعدة

ومن الغريب انك اذا ادنيت هذه الآلة البسيطة التي سماها صاحبها «سكسافون» اي آلة معرفة الجنس الى رأس رجل تحركت حركة دائرية كحركتها فوق رأس الديك ، او اذا ادنيتها الى رأس امرأة خطرت ذهاباً واياباً . وقد جربت في الطيور والاسماك فاصابت ولم تخطيء مرة . وجاء بكلب ووضعه في سل وغطاه من غير ان يفحص ما اذا كان ذكراً او انثى ، ثم قرّب الآلة منه فتحركت حركة دائرية فاخرج الكلب فاذا هو ذكر

ويؤمل المكتشف ان يتمكن قريباً من معرفة الذكر والانثى قبل ولادتها سواء في الانسان وسائر الحيوان   « الجريدة »

﴿العرب والمدنية الحديثة﴾ نشر العالم لفرنسي الشهير «فلانتين دي سانبوان» كتاباً ذكر فيه ما وصل اليه العرب خصوصاً إبان تملكهم الاندلس من الاختراعات في الفنون والصنائع ، وقال : انهم كانوا مدة تسعمائة سنة اساتذة لامم اوربا ، وانه لولا استفحال التمدن العربي وانتشار تعاليم هذا التمدن في الممالك الاوربية لتأخر ظهور المدنية الحديثة «مجلة جمعية الملاجئ العباسية»

﴿المكاتب الطبية العظمى﴾ تحوي مكتبة مدرسة باريس الطبية ٣٠٠ الف كتاب من انفس الكتب . ويليها مكتبة « واشنطون » عاصمة الولايات المتحدة الاميركية التي تحوي ٢٠٠ الف كتاب . وتأتي بعدها مكتبة « بطرسبرج » الطبية التي تحتوي على ١٦٠ الف كتاب «عنها»

﴿قارضو اظفارهم﴾ اذا رأى الحيوان براثنه تطول قرضها باسنانه او حكها على اطراف الحجارة فتتفتت ، كذلك بعض النـاس اذا رأوا اظافرهم تنمو وتطول قرضوها باسنانهم اذا لم يتمكنوا من الوصول الى مطواة او مقص يقوم بهذا العمل ، وليس هناك ما يدل على وجود اختلال في الشعور او نقص في العقل . أما اذا مارس الانسان قرض اظفاره باسنانه في كل يوم وفي كل ساعة وفي كل مكان ، مع علمه بما ينجم عن فعله هذا من الاضرار الصحية ، حتى يمسي هذا العمل عادة او ملكة يعجز عن الاقلاع عنها فهناك النقص في المدارك والاختلال في الشعور

ترى هذه الملكة شائعة بين النساء اكثر من شيوعها بين الرجال ، وتصطحب غالباً باعراض عصبية ناشئة من طريق الوراثة كالخوريا والهستيريا وما شاكلهما ، وصاحبة هذه الملكة او صاحبها يقرض اظافره بالاسنان سواء كان في العزلة او في مجالس الناس ، تلقاه واحدى انامله في فمه يمارس عمله بكل لذة وارتياح كأنه يتناول اشهى الطعام عنده ، ولا يكتفي بعض المدمنين على هذه العادة بقرض اظافر ايديهم بل يقرضون ايضاً اظافر ارجلهم ، ولا يبلغون هذه الدرجة من البراعة الا بعد الممارسة الطويلة

ولا تفيد هؤلاء المجانين ارشادات الناس ، ولا تصلحهم نصيحة ، على انه قد امتحن بعض الاطباء التنويم المغنطيسي في آكلي الاظفار فشفي بعضهم «عنها»

﴿خير النوم﴾ النوم على الجنب الايسر يضغط على القلب فيضيقه في حركته ويحدث الاحلام الثقيلة المزعجة والكابوس ، فلا افضل تجنبه والنوم على الجنب الايمن «طبيب العائلة»

﴿شرب الماء﴾ سأل كثيرون بعض الاطباء عن شرب الماء على وجه يستفيد منه الجسم ولا يحدث ادنى ضرر ، فقال بعضهم بترجيح شرب الماء مع الطعام وبعضهم رأى الشرب عقيب الاكل وبعضهم قبل او بعد الطعام بساعتين او اكثر . وقد تبين لاكثر الاطباء بان المعدة السالمة من جميع الامراض اذا كانت فارغة لا تحفظ الماء سوى دقيقة الى خمس دقائق ثم تودعه الى الامعاء ، واذا كانت مملوءة بالطعام فيمتزج الماء بالطعام ان كان قليلاً ويسهل فعل الهضم ، وان كثر الماء في المعدة فان بعضه بعد ان يمزج بحامض المعدة يدخل الامعاء ويؤخر فعل الهضم ، واذا تأخر في المعدة فيكون سبباً الى توسيع المعدة . والقاعدة الصحية في هذا الباب ان يؤخذ من الماء قبل الطعام مقدار نصف كاس او عقيب الطعام او بعده بساعتين . اما شرب الماء في الاوقات المختلفة فيدعو الى توسع المعدة والصداع وعسر الهضم وضعف المعدة . . . .

«المنتبس ايومي»　　　الدكتور احمد راتب

﴿طير من ذوات الاربع﴾ اكتشف احد السياح نوعاً من الطيور في جهات اميركا الجنوبية غريب الشكل والجنس ، فهو يقدر على الطيران بسهولة كما يطير النسر ويمشي على الاربع كالحيوانات ، ويتسلق الاشجار كالقردة ، ويعوم على وجه الماء كالسمك ، ويغوص في قاع البحر ويلتقط سمكاً صغيرة فيأكلها ، وفضلاً عن كونه من ذوات الاربع فهو من ذوات الاجنحة ولا يتجاوز حجمه حجم الطاووس ، وهو شجاع قادر جداً على الدفاع عن فراخه اذا المت بها مصيبة يدافع عنها كالابطال ويقارب النسر بالقوة والعمر الطويل ولله في خلقه شؤون　　　«البيان»

فكاهات واطائف

حُكي ان المأمون قال : ما عجزت عن جواب احد مثلما عييتُ عن جواب رجل ادعى النبوة فامرت بحبسهِ ، ثم تفرغت من شغلي فامرت باحضاره وقلت له : انك زعمت انك نبي ، قال : نعم ، قلتُ الى من بُعثتَ ؟ قال : اوَ تركتموني أبعث الى احد ؟ بُعثتُ الغداة وحُبستُ نصفَ النهار !! فقلتُ له : من انتَ من الانبياء ؟ قال : موسى بن عمران ، قلتُ له : ان موسى كانت له دلائل و براهين ، قال : وما كانت براهينه ؟ قلت له : كان اذا ضمَّ يده الى جيبه اخرجها بيضاء من غير سوء ، واذا القى العصا صارت حية ، قال : نعم انما ذلك لاجل فرعون لمّا قال : انا ربكم الاعلى فان شئتَ ترى ذلك فقل كما قال فرعون حتى اظهر لك الآيات

فضحك المامون من كلامهِ واعطاه الف درهم واستتابه

أُتي برجل سكران الى بعض الولاة حينما كان الناس لايعرفون الا الكتاب والسنة ، فأمر باقامة الحدّ عليهِ ، وكان الرجل طويلاً والجلاد قصيراً ، فلم يتمكن من ضربهِ ، فقال الجلاد : تقاصر لينالك الضرب ، فقال ويلك ، أ الى الفالوذج تدعوني ؟ ولقد وددت اني اطول من عُوج بن عُوق وانت اقصر من يأجوج ومأجوج

كسا المهدي ابا دلامة ساجاً (الساج الطيلسان الاخضر او الاسود) فأُخذ به وهو سكران ، وأُتي به الى المهدي فأمر بتمزيق الساج عليه وان يُحبس في بيت الدَّجاج ، فلما صحا من سكره طلب دواة وكتب الى المهدي يقول :

اميرَ المؤْمنين فدتك نفسي ... علامَ حبستني وخرقتَ ساجي
أُقادُ الى السجون بغير ذنبٍ ... كأني بعض عُمَّال الخراج
ولو معهم حُبستُ لكان ذاكم ... ولكني حُبستُ مع الدَّجاج

كتب وجرائد جديدة

بلاغات النساء

تأليف الامام ابي الفضل احمد بن ابي طاهر المولود في بغداد سنة ٢٠٤ للهجرة والمتوفى ٢٨٠ وهو يشتمل على طرائف كلام النساء وملح نوادرهن واخبار ذوات الرأي منهن واشعارهن في الجاهلية وصدر الاسلام · وهو كتاب نفيس كان جوهرة مكنونة في صدف المكتبات لايعرفه الا النذر اليسير ممن أُولع بالتنقيب عن الكتب المخطوطة ونفائس مؤلفات العلماء الاولين ، الى ان اظهره الى عالم المطبوعات صديقنا احمد افندي الألفي من نبهاء الشبان المصريين ، وقد عُني به وصرف وقتاً ليس باليسير في تصحيحه وشرح غريب الفاظه ، والكتاب مطبوع كاصله بدون حذف ولا زيادة وكل ما ورد فيه معزّز بالسند من مؤلفه حتى يصله بمن قال

وهو مطبوع طبعاً نفيساً بالقطع الكبير على ورق ابيض صقيل ، ويطلب في بيروت من المكتبة الاهلية وثمنهُ عشرة قروش

اسباب الانقلاب العثماني
وتركيا الفتاة

تأليف محمد روحي بك الخالدي النائب عن القدس الشريف في مجلس الامة

اهدتنا ادارة مكتبة المنار في مصر هذا الكتاب الذي نشرت بطبعه مستقلاً كل اديب يود الاطلاع على حقيقة الانقلاب الاخير المدهش الذي حصل في الدولة العثمانية فقلبها رأساً على عقب وغير شكلها من حكومة مطلقة مستبدة الى حكومة مقيدة عادلة ، وكانت مجلة المنار الغراء قد نشرته في بضعة اعداد منها ، ثم رأت ادارة مكتبة المنار ان تطبعه كتاباً على حدة حباً بتعميم نفعه

والكتاب يشتمل على موضوعات كثيرة مفيدة ، وهو مطبوع طبعاً جيلاً في ١٨٢ صفحة على ورق جيد بالقطع الصغير ، وهو مصدر بمقدمة نفيسة هي غاية

في حسن الاسلوب وبراعة المعنى بقلم صديقنا السيد حسين وصفي افندي رضا شقيق صاحب المنار الشهير . والكتاب يطلب في بيروت من المكتبة الاهلية وفي طرابلس من مكتبة المنار وثمنه ربع ريال مجيدي

الاشتقاق والتعريب

تأليف الشيخ عبد القادر افندي المغربي من علماء طرابلس الشام واحد محرري جريدة المؤيد ، وهو كتاب نفيس بحث فيه مؤلفه عما يعرض للغة العربية من تكاثر كلماتها بواسطتي الاشتقاق والتعريب ، وان هذا الاخير طبيعي في لغتنا وفي غيرها من اللغات ، وان استعمال المعرَّب لايحط من قدر فصاحة الكلام

وقد بحث فيه بحث مدقق خبير ذي رأي لامقلد جامد والكتاب يشتمل على كثير من المباحث كالاشتقاق والقلب والابدال والنحت والتعريب وتكوّن الجنس العربي ونشوء لغته ونموّ اللغة بالدخيل ووظيفة التعريب وشرطه وانه قد يكون المعرَّب فصيحاً الى غير ذلك من المباحث الجليلة التي يجدر بكل متأدب راغب في التوسع في اللغة الاطلاع عليها . وسنفرد للكتاب مقالاً خاصاً نبدي رأينا فيه في العدد القادم ان شاء الله . وهو مطبوع طبعاً جميلاً على ورق جيد صقيل في مائة وست واربعين صفحة وهو يطلب من المكتبة الاهلية في بيروت وثمنه خمسة قروش

عقود الجوهر

في تراجم من لهم خمسون تاليفاً فمئة فاكثر

تاليف جميل بك العظم صاحب المعارف في بيروت ، وهو كتاب نفيس في بابه ومن يطالعه يجد ان مؤلفه قد عانى فيه مشقات جمة ومتاعب عظيمة . قد ترجم فيه العلماء الذين لهم من التآليف خمسون تاليفاً فمائة فاكثر وعدد تآليفهم وقد ابتدأ بترجمة الامام الغزالي عليه الرحمة وقد تم منه حتى الآن الجزء الاول وسيصدر الجزء الثاني بعد حين وسيكون فيه فهرست عام للكتب التي ذكرت فيه أمخطوطة هي أم مطبوعة ، وبالجملة فالكتاب اثر نفيس يذكر بالشكر لمؤلفه ويحث على اقتنائه

تحفة الانام · مختصر تاريخ الاسلام

اهدتنا ادارة المكتبة الاهلية في بيروت هذا الكتاب النفيس وهو تاريخ سهل العبارة من احسن المختصرات التي ألفت في التاريخ الاسلامي، تأليف استاذنا المرحوم الشيخ عبد الباسط الفاخوري مفتي بيروت رحمه الله ورضي عنه وهو يقع في ٢٨٦ صفحة بالقطع الوسط ومطبوع على ورق جيد طبعاً حسناً وثمنه ٩ قروش ويطلب من المكتبة المذكورة فنحث على اقتنائه

نخبة عقد الاجياد، في الصافنات الجياد

هو كتاب جليل ألفه المرحوم الامير محمد باشا الحسني الجزائري ابن الامير عبد القادر الشهير جمع فيه اهم ما يتعلق بالخيل وانسابها والجواد منها وغيره، وقد استشهد بكثير من جيد شعر الجاهليين والمخضرمين والمولدين وغيرهم، فهو كتاب حافل بعلم الخيل والادب جدير بالاقتناء، وهو مطبوع طبعاً جميلاً على ورق ابيض صقيل، ويطلب من المكتبة الاهلية في الثغر وثمنه نصف ريال مجيدي

بدائع الشعر، في الحماسة والفخر

لبشير افندي رمضان احد ادباء بيروت النوابغ وله ولع عظيم في مطالعة الكتب الادبية ودواوين فحول الشعراء في الاسلام والجاهلية، وقد حدا به ذلك الولع الى التنقيب عن احاسن الشعر المنسوب لاعاظم الشعراء ونظمه في سلك التاليف وابرازه للمتأدبين حتى يكون لهم خير عون على ما يقصدون اليه من الاطلاع على فصيح الكلام وبليغ المعنى. فجمع بادئ ذي بدأة كتابه المسمى «الحكمة وفصل الخطاب» ثم كتابه الذي دعاه «مناجاة الحبيب، في الغزل والنسيب» وقد حجزت الحكومة الاستبدادية على هذا الكتاب لانه ورد فيه لفظ «رشاد» .... ثم تعدى عليه بعض لصوص الادب وغير اسمه، وبعض رسمه وطبعه في مصر هاضماً بذلك حق جامعه وما عاناه من المشقة في جمعه وتبويبه. ثم برز اليوم جامع الكتابين كتاباً ثالثاً سماه «بدائع الشعر في الحماسة والفخر» وقد جمع فيه ما راق وحسن من الفخر والحماسة سواء من شعر الجاهليين او المخضرمين او المولدين وقد رغب الى صديقنا الشيخ عبد الرحمن افندي سلام بن يحلّ ما ورد فيه من الالفاظ المعوصة او الغريبة لتكون الفائدة اتم ففعل، فجاء كتاباً حافلاً يجدر بكل اديب ان يقتنيه، وهو يطلب من المكتبة الاهلية وسائر مكتبات بيروت وثمنه نصف ريال مجيدي

اعظم تذكار لعثمانيين الاحرار

على اثر اعلان القانون الاساسي للمرة الاخيرة دعت الغيرة والحمية الشيخ عبد الله افندي العلمي الى تاليف يبين فيه ان الدستور لا يخالف روح القرآن وان مجلس الامة «المبعوتان» هو من

تعليم القرآن الكريم ، فاقدم على تاليف هذا الكتاب وتكلف المشاق والعناء في هذه السبيل حتى جمع الآيات التي تدل على المعنى الذي قصد له ، وقد ورد له شكر على هذا الصنيع من الهيئة المركزية لجمعية الاتحاد والترقي في الاستانة ، والكتاب يقع في ١٩٠ صفحة بالقطع الوسط وهو مطبوع طبعاً جيداً على ورق حسن وثمنه شلنان وهو يطلب من المكتبة الاهلية وغيرها من مكتبات الثغر ونحث على اقتنائه رغبة بما فيه واعانة مؤلفه

ديوان ابن هانيء الاندلسي

الشاعر الشهير متنبي المغرب الذي طار صيته حتى ضرب به المثل بقول بعضهم فيه :

ان تكن فارساً فكن كعليٍّ   او تكن شاعراً فكن كابن هاني
كلّ من يدّعي بما ليس فيه   كذبته شواهد الامتحان

وقد طبع حديثاً بنفقة محمد انيس افندي محيو وثمنه في بيروت سبعة قروش وهو يطلب من المكتبة الاهلية وسائر مكتبات الثغر

فتحة الفتوحات العثمانية

تأليف محمد نامق كمال بك الكاتب التركي الشهير وترجمة عبد الله افندي مخلص ، وهي رسالة حافلة ذكر فيها مؤلفها خلاصة من التاريخ العثماني وكيف كان فوز العثمانيين في تأسيس ملكهم الى غير ذلك من الفوائد المهمة وقد صدره مترجمه برسم كمال بك وترجمته نقلاً عن مجلة الهلال الغراء وهو يطلب من مؤلفه في حيفا وثمنه ثلاثة قروش

دمشق

جريدة يومية تخدم الامة والوطن والمنافع العمومية تصدر عن دمشق ، مؤسسيها سليم افندي هاشم وتوفيق افندي الحلبي ومسلم افندي عابدين وبدل اشتراكها في دمشق اربعة ريالات مجيدية وفي سائر البلاد العثمانية ثلاثة عثمانية وفي سائر الممالك خمسة وعشرون فرنكاً فنأمل لها الاقبال والرواج

السكة الحجازية

جريدة تصدر عن دمشق ايضاً في كل اسبوع مرة موقتاً لصاحب امتيازها محمد عارف افندي الحبل وقيمة اشتراكها في البلاد العثمانية ريالان مجيديان فنرجو لها التوفيق والنجاح

ديوان رستم

ينتظر القراء تقريظ هذا الديوان في العدد القادم لاننا سننشئ له مقالاً طويلا

حديث

هاشم بن يحيى
او
شقاء الشبان

«باب رواية خيالية خلاقية تهذيبية ديبة تأليف منشيء « النبراس »

حديث الجلسة الثانية

قال راوي الحديث : قال هاشم بن يحيى :

ثم بعد ان فارقني الشيخ وذهب الى حيث لا ادري ذهبت هائماً على وجهي آسفاً على فراقه ، وبقيت مترقباً دنوّ الوقت الذي ضربهُ لي الى ان منّ الله عليّ بقرب الميقات ، فتأهبت للسير الى المكان الذي عيّنهُ وكنتُ لا أعي من شدة الفرح ، حتى كدت أعثر بثيابي واضلّ الطريق

فلما بلغت المكان وجدت الشيخ مترقباً مجيئي ، فسلمت عليه فردّ السلام ثم قال : ويحك يا بنيّ ، لقد اخلفت الميعاد ، فقد مضى هزيع من الليل ، الم تعلم ان الوفاء بالعهد من اعظم الذمم ، واحسن الاخلاق واحلى الشيم ، وقد عدّ الرسول الاخلاف بالوعد من خصال المنافقين فقال : « آيةُ المنافق ثلاث : اذا حدث كذب واذا وعد أخلف واذا ائتُمن خان »

هاشم بن يحيى — : أعلمُ ذلك ولكنني اتيت في الوقت على ما اظن

الشيخ — . اين انت من الوقت ؟ فقد مضى عليه ساعة ، انظر الى النجوم ومواقعها تعلم صحة ما اقول

هاشم — ارى حسب ساعتي ان الوقت الذي اتيت فيه هو ما عيّناه ، الم نضرب الساعة الثانية بعد الغروب موعداً للقاء

الشيخ — بلى فأرني ساعتك

قال هاشم : فاخذت ساعتي من جيبي فنظرت فيهـا فاذا هي لم تجاوز الساعة

الثانية ، فقلت للشيخ : هاك الساعة وقد جئت قبل الموعد

الشيخ — : اين انت من الموعد ؟ اظن ان ساعتك اعتراها مرض فهي تسير الهوينا ، او انها لا حراك بها

هاشم — : كيف ذلك واليوم قد اتيت بها من عند مصلح الساعات ؟

الشيخ — : ارجع البصر ، ودقق النظر ، فترى صدق ما اقول

قال موسى : فتناولت ساعتي من جيبي مرة اخرى فدققت النظر فيها فاذا هي لا حراك بها ، فقلت للشيخ : عفواً مولاي فهي متوقفة عن السير ، ولكن مـا ذا اقول لمصلحها ؟ وقـد اخذ مني اليوم ريالاً مجيدياً تلقاء اصلاحها ، وان كثيراً من الناس يشكو شكواي ، فكأن هؤلاء القوم اصحاب هذه الصناعة لا يعرفون منها الا تحليلها وتركيبها ، فهم كمن يعرف النحو وعلوم البلاغة والعروض ، ولا يحسن فهم آية من القرآن او بيت من الشعر او جملة بليغة ولا انشاء مقالة او نظم قصيدة — او انهم يعرفون ذلك ويمكنهم اصلاحها ، غير انهم يغشون الناس ولا ينصحون لهم باصلاح الساعات اصلاحاً يؤمن معهُ رجوع العلة ، فمثلهم حينئذ كمثل كثير من العلماء يعرفون الحق ويحرفون عنه اتباعاً للاهواء ، فهم يحسّنون المنكور وينكرون المعروف ، واسوف يلقون غياً وعذاباً من الله قريبا

الشيخ — : اولئك القوم منهم من لم يحسن هذه الصناعة فضرره اكثر من نفعه ، اذ ربما يفسد بجهله بعض اوائلها الصحيحة فيتسع الخرق ويعظم الامر ، ومثل هؤلاء كمثل من لم يحسن العلوم ولم يضرب فيها بسهم ، فهو ينصب نفسه لوعظ الناس وارشادهم ، فيحلّ لهم ما حُرّم عليهم ، ويحرّم عليهم ما أُحلّ لهم ، وهو يحسب نفسهُ انهُ اصاب المرمى وأنهُ بلغ من العلم مبلغاً يقصر دونهُ المتناول ، وان من هؤلاء كثيراً يعيا الحصر عن تعدادهم — ومنهم من احسنها ولكنهُ يغش الناس ، وليس الغش يا بنيّ قاصراً على اهل هذه الصناعة فقط ، بل انهُ قد تناول جميع ارباب الصناعات والاعمال

« الا من رحم ربك » حتى انهُ قد تناول طبقة من العلماء كما قدمت يابني « انَّ هذا لشيء عجاب » فنسأل الله ان يصلح احوالهم بمنهِ وكرمه

واني سأشرح لك هذا الموضوع اكثر من ذلك في غير هذه الليلة ، ولنمض الآن في الشيء الذي قصدنا له ، فانهُ رأس الامر وعموده وذروة سنامه ، فان ماتراه من المفاسد في الكون انما منشاؤُه فساد العائلات ، وفقد الركن الركين منها الا وهو التربية الحق على مقتضى النواميس الصحيحة

اما وقد تبين لي ان تأخرك عن الاجل المضروب لاجتماعنا انما هو من اختلال الساعة فلا تثريب عليك ، وانما كان لومي عليك شديداً فيما لو جرى الامر على غير هذه الصورة وكان لك فيهِ يد ، فان كثيراً من الناس جعلوا الاخلاف بالوعد عادة لهم فلا حول ولا قوة الا بالله

هاشم — هلمَّ بنا يا مولاي الى حيث تقضي الابانة

الشيخ — : نسير بعد الاتكال على الله تعالى ، ولنجعل اول ما نتعرفه البحث عن احوال النشء ومفاسده ، ثم نصف له من الدواء ما ينجع فيهِ ان هو استعمل بالحكمة حسب المطلوب

قال هاشم بن يحيى : فقلت للشيخ قولك الحق وامرك واجب الاتباع

ثم سرنا حتى بلغنا حياً من احياء البلدة فوجدنا شرذمة من الاولاد يلعبون ، فلما رأونا نكرونا واخذوا يسخرون بنا ويرجموننا بالحجارة ويقذفوننا بسهام السباب ، ويرموننا بذبال من الشتائم قد انهالت علينا انهيال المطر ، فقلت في نفسي ماهذه الحال؟ ولئن تركناهم كما هم فيهِ تمادوا في ضلالهم ، فاستشرت الشيخ في ردعهم فقال : ايْ بنيَّ ، كن كالبحر لا تغيره الجيف ، وما امثال هؤلاء الا كالكلاب ، وهل سمعت بعاقل يجيب كلباً اذا نبحهُ ؟ فاحذر ان تخالف عن امري فتصيبك فتنة او يصيبك عذاب اليم

قال هاشم بن يحيى : فوجدت في نفسي عليهم ووددت لو امكنني الشيخ منهم

فاوسعتهم ضرباً واشبعتهم لكماً — فلما راونا لجأنا الى السكوت والاغضاء عن سفاهتهم زادوا في طغيانهم يعمهون ، وخاضوا في ابحر الشتائم والفحش والهذر ، والذين تولّوا كبره منهم كانوا يزيدون سفهاً الى سفاهتهم برجمهم ايانا بالحصى كأننا مرمى الجمار ، فثارت عند ذلك في رأسي نخوة الشباب «وهي نخوة الجاهلية» وقابلتهم بشيء من السباب ونصحت لهم ان يرتدعوا عن هذه المنكرات ، فجاءني كبيرهم وقد ضرب في الخامسة عشرة من عمره بسهم وقال: لعنة الله عليك وعلى والديك . ولم يكتفِ بذلك بل شتم ديني ودين آبائي وانّ ديني مثل دينه ، ثم انتهرني وضربني بعصا كانت في يده . فلما رأيت تلك الجرادة الغريبة الشأن امسكتُ بعصاه وقلت له : حسبك يا ابن الفاعلة ، واهويت له بضربة على فخذه ، فلما رأى مني ذلك انتضى من حزامه سكيناً كبيراً لمع في وسط الدجى لمعان الشهاب ، وعمد اليّ بضربة لو اصابتني لكنت في عداد الاموات ، غير ان الله لطف بي ، فان هذا الشرير سقط الى الارض من شدة الوطأة ، فوقعت عليه واجتذبت منه سكينه ، فلما رأت طائفة ممن معه ذلك لم يرقْ في اعينهم هذا ، بل هجموا عليّ منتضين سلاحهم الحـديدي والناري ، فهالني امرهم لان الكثرة تغلب الشجاعة ، وهموا بقتلي فرأيت بريق الموت على ظُبا سكاكينهم وسمعت رعد الحتف من افواه مسدساتهم ، فايقنت أني واقف على شفا جُرف هارٍ من الموت ، فخفت ان ينهار بي ، وعلمت ان لا منجاة لي من الموت الا بالاستبسال للموت والدفاع دون شرف الحياة ، وأنى ليَ الخلاص ، ولات حين مناص ، الاّ اذا اعملت الهمة ، وابرزت من الضعف قوة ، فاستغثت الشيخ فلم يُغثني واستنصرته فلم ينصرني ، فلجأت الى الله في شدتي ، وقلت : يا ربي اني لست ممن يدعونك وقت الشدة مخلصين لك الدين حتى اذا انجيتهم مما سقطوا فيه نسوك فلم يذكروك ، بل انا من عبادك الأُلى عكفوا على دعائك وحدك ، ولا يعتمدون الا عليك ان اصابتهم منك نعمة او بُلوا بنقمة فلما توجهت الى الله واخلصت له النية اودع فيّ روح النشاط والشجاعة بعد ان

استولى عليّ الجزع وأسرني الروع ، فقمت من بينهم كالجمل أُنشط من عقال ، ولم تزل السكين التى انتزعتها من اوّلهم بيدي ، ففرّقت بها جمعهم فكانوا « كأنهم حمر مستنفرة فرّت من قسورة » غير انهم لما رأوا ما حلّ بهم من الفشل والهرب تراجعوا فوقفوا على مقربة منا واطلقوا علينا الرّصاص من افواه المسدسات فانهال علينا كالغيث فكان من ذلك ان اصابتني رصاصتان احداهما في رجلي والاخرى في ذراعي ، فسُقط اذ ذاك في يدي وعلمت اني ميت لامحالة ، وايقنت أني مخطيء فيما فعلت ، لاني القيت بنفسي الى التهلكة

كل ذلك حصل بيني وبينهم والشيخ واقف بمعزل عنا وقوف ابي موسى على الرابية يوم صفّين ، فعوّذت فجاءني وانتزعني من بينهم وقال : يا بنيّ ، الم اقل لك : ذرهم في خوضهم يلعبون ، ولا تقابلهم بمثل حمقهم وطيشهم ، فانا لم أُحجم عن المناضلة عنك فرَقاً ولاجبنا ، وانما ذلك لانك خالفتني الى اتباع هواك باجابتهم ، فخالفتك فلم انصرك فحلّ بك ما حلّ ، الم اقل لك : احذر ان تخالف عن امري فتصيبك فتنة او يصيبك عذاب اليم . اما وقد كفاك ما اصابك وكان كافياً لتهذيبك جئتك لانشلك مما انت فيه

هاشم — : استغفرك ما فرط مني يامولاي ، وقد علمت علم اليقين ان مخالفة ذوي الرأي مجلبة للثبور والمقت ، وقد استشرتك فأشرت بالصواب وما فيه الخير ، غير ان النفس الامارة بالسوء زينت لي عملي فرأيته حسناً فكان ما كان ، وكل امريء بما كسب رهين

الشيخ — : الم تسمع قول الرسول عليه الصلاة والسلام : «الحزم ان تشاور ذا رأي ثم تطيعه » — ثم ان الرأي عندي ان نبرح هذا المكان قبل ان يدهمنا آباء هؤلاء الاولاد واقاربهم فيحلّ بنا من الاهانة والضرب مالم يكن في الحساب

هاشم — : او ترى أن آباءهم راضون بعملهم هذا ؟ وانهم يثأرونهم وان كانوا هم المعتدين الظالمين ، فلا ثأرتهم ايديهم ان فعلوا

« للكلام بقية »